اللغة العربية مفهومات وقيم

أ.م.د. عماد مجيد علي

جامعة كركوك/ كلية التربية

الملخص:

لا مجالَ للشَّكِّ في أنَّ دراسة اللُّغةِ العربيَّةِ هي الأساسُ الرَّصينُ لِدراسةِ الحضارةِ العربيَّةِ والتَّعمق في فهمِ العالمِ العربيِّ. والمعروفُ عن اللُّغةِ العربيَّةِ أنَّها أغنى اللُّغاتِ السَّاميَّةِ وأرقاها؛ لأنَّها تتَّصفُ بكثرةِ المترادفاتِ، فضلاً عن المرونةِ والقدرةِ على صياغةِ المشتقَّاتِ مِن ألفاظِها مع سهولةِ التَّعبيرِ الدَّقيقِ داخلَ إطارِ مِن سموِ البلاغةِ وسحرِ البيانِ، وحسبُ اللُّغةِ العربيَّةِ أنَّها لغةُ القرآنِ الكريمِ الذي وُصِفَ لسانُهُ بأنَّهُ لسانٌ عربيٌّ مبينٌ. وبفضلِ طبيعةِ اللُّغةِ العربيَّةِ وغِناها وقدرتِها على النَّحتِ واشتقاقِ اللَّفظِ المُعبِّرِ ومجازاتِها المتنوِّعةِ وإعرابِها الذي يعدُّ من صفاتِها الموهلة في القدمِ، في حين أنَّ سائرَ اللُّغاتِ الساميَّةِ فقدتِ الإعرابَ، استطاعَتْ بكلِّ جدارةٍ أنْ تكونَ أداةً صالحةً للتَّعبيرِ عن أعظمِ حضارةٍ عرفها العالمُ أجمعُ في العصورِ الوسطى؛ لأنَّها لم تقفْ عاجزةً أمامَ علومِ اليونانِ والفرسِ واليهودِ وغيرِهم مِن أصحابِ الحضاراتِ بل عبَّرَتْ عن علومِهم بما فيها مِن معانٍ ومصطلحاتٍ لم يكنْ للعربِ معرفةٌ بها من قبلُ تعبيراً عِلميّاً دقيقاً، وهكذا ذبلتْ اللُّغاتُ السِّريانيَّةُ والقبطيَّةُ وغيرُها أمامَ اللُّغةِ العربيَّةِ، في حين انكمشَتْ اللُّغةُ الفارسيَّةُ ولم تعدْ أكثرَ مِن لغةِ الكلامِ والنِّقاشِ في فارسَ بعدَ أنْ استخدمَ أدباءُ الفرسِ وعلماؤُهم العربيَّةَ في الكتابةِ والتَّأليفِ وتدوينِ ما تفتَّقَتْ بهِ قرائحُهم في ظلِّ الإسلامِ، والقرآنُ الكريمُ هو أكبرُ برهانٍ على أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ لغةُ حضاراتٍ بل هي أعظمُ اللُّغاتِ شأناً وأرفعُها منزلةً، فقد تضمَّنَ القرآنُ العزيزُ أعظمَ القيمِ الإنسانيَّةِ قدراً ورفعةً، بأرفعِ أسلوبٍ عجزَ البشرُ على أنْ يأتوا بمثلِهِ ولو كانوا بعضُهم لبعضٍ ظهيراً.

إنَّ اللُّغة العربيَّة كغيرها من لغاتِ البشرِ خاضعة للتَّغيير، والتَّبدل، والزَّوال، والفناءِ بيدَ أنَّ القرآنَ الكريمَ بحكمِ أنَّهُ لسانُ الإسلامِ الناطقُ ومعجزتُهُ الباقيةُ هو الذي حفظها من الضَّياع؛ لأنَّهُ جاءَ على وجهٍ تحدَّى بهِ العربَ تحدِّياً صارخاً فذُلُّوا واستكانُوا، فحرصَ كلُّ مسلمٍ على ألفاظِهِ احتفاظاً بالمعجزةِ، وتعبُّداً بتلاوتِهِ، ولو أنَّهُ جاءَ كما جاءَ غيرُهُ مِن الكتبِ مجرداً عن الإعجاز لما كانَ حتماً على النَّاس أنْ يُلزمُوا أنفسَهم تعهدَهَا والتَّعرُّفَ عليها، بل كانُوا يأخذونَ ما ينفعُهم في معاشِهم ومعادِهم بعدَ أنْ ينقلوهُ إلى لغاتِهم فتضطربُ العربيَّةُ أنْ تقفَ وحدَها في معتركِ الحياةِ فلا تزالُ تتطلَّعُ إلى التَّجديدِ حتى تصبحَ في مبدئِها ونهايتِها لغتين أو لغاتٍ متباينةٍ أو تمشيَ إلى الموتِ وتدبَّ إلى الفناءِ حتى تصبحَ في ذمَّةِ التَّاريخ. العربيةُ في العصرِ الحديثِ لغةٌ تواجهُ مشكلة العصرِ شأنُها في ذلكَ شأنُ اللغاتِ الأخر.

إنَّ طبيعة هذهِ المشكلةِ واضحة كلَّ الوضوح وذلكَ أنَّ هذهِ اللُّغة يجبُ أنْ تكونَ لغة الحضارةِ الجديدةِ كما كانَتْ لغة الحضارةِ السَّابقةِ التي شغلتْ العالمَ مِن أقصى الشَّرق إلى أقصى الغربِ، فما السَّبيلُ إلى ذلكَ ؟.

السبيلُ هو أنْ نعملَ بجدٍّ في توفيرِ المصطلح الجديدِ، وما الطرائقُ إلى توفيرِ ذلكَ؟

إنَّنا نملكُ من التَّجاربِ المتراكمةِ ما يعيننا على حلِّ تلكَ المشكلاتِ، ومِن التجاربِ والحلول:

١ـ التَّرجمةُ: وهي أنْ نترجمَ المصطلحَ العلميَّ فنتخيَّرَ الكلمَ العربيَّ المناسبَ ونتَّفقَ عليهِ في الأقطارِ العربيَّةِ كافة؛ لكي يكونَ مِن السَّهل واليسير جعلُ التَّعليمِ الجامعيِّ باللُّغةِ العربيَّةِ وليسَ من شكٍّ أنَّ العلماءَ والمعربينَ والمترجمينَ سيواجهونَ كثيراً مِن المتاعبِ والمشاقِّ ولكنَّهم سيتغلبونَ عليها حتماً حينما يكونَ العزمُ والتَّصميمُ؛ لأنَّ العربيَّة ليستْ أقلَّ شأناً من غيرها مِن اللُّغاتِ، ولكنَّ هذا يتطلَّبُ جهداً حثيثاً وصبراً حتى بلوغ المرام.

٢- التَّعريبُ: وأقصدُ بهِ أنْ نأخذَ المصطلحَ الأعجميَّ فنعرِّبهُ بالحفاظِ على شيءٍ مِن أصواتهِ أو بتغيير شيءٍ منهُ إلى الأصواتِ العربيَّةِ كما نفعلُ مثلَ ذلكَ في أبنيةِ هذهِ المصطلحاتِ فنعرِّبُها مِن البنيةِ العربيَّةِ.

٣- أنْ نؤكِّدَ اللُّغةَ الفصيحةَ مِن أجلِ سلامةِ اللُّغةِ العربيَّةِ وعدمِ اللجوءِ إلى العاميَّةِ وهذا يتطلَّبُ منَّا أنْ نتَّبعَ أفضلَ الطرائقِ لتدريسِ اللُّغةِ العربيَّةِ وتحبيبِها إلى النَّاشئةِ، وأنْ نعملَ جادِّينَ لتيسيرِ النَّحوِ والابتعادِ عن الصَّنعةِ النَّحويَّةِ التي أثقلتْ كاهلَ اللُّغةِ العربيَّةِ وأنْ نتَّبعَ كلَّ وسائلِ التَّشويقِ في المحاضراتِ والابتعادِ عن الخلافاتِ النَّحويَّةِ والآراءِ الشَّاذَّةِ غيرِ الرَّصينةِ.

٤- اختيارُ الجيِّدِ مِن الذينَ يقومونَ بتدريسِ هذهِ اللُّغةِ، وعدمِ السَّماحِ لكلِّ مَنْ لا يجيدُ التَّحدثَ

بها أنْ يدرِّسَها؛ لأنَّ فاقدَ الشَّيءِ لا يعطيهِ. وإنَّ ارتباطَ حضارةِ أيِّ أمةٍ ووجودَها مرتبطٌ ارتباطاً قوياً بلغتِها بحيثُ يمكنُنا القولُ إنَّهُ لولا وجودُ اللُّغةِ لما قامَتْ الحضارةُ العربيَّةُ وانتشرَتْ وأصبحتْ ذاتَ مفهوماتٍ وقيمٍ رصينةٍ.

٥- أنْ نُعلِّمَ أولادَنا التَّكلُّمَ بالعربيَّةِ الفصيحةِ منذُ نعومةِ أظفارِهم حتى تصيرَ ملكةً فيهم فيتكلَّمونَ كما يكتبونَ وإنْ كانَ هذا أمراً عسيراً فعلينا أنْ نطبِّقَهُ في مدارسِنا على أقلِّ تقديرٍ ونبتعدَ عن اللُّغةِ الدَّارجةِ وأخيراً نقولُ إنَّ تطوُّرَ اللُّغةِ مرهونٌ بقوةِ أهلِها ومنجزِهم الحضاريِّ وتقدُّمِهم العلميِّ، إنْ أنجزُوا وتقدَّموا حضاريًّا كانَ للغتِهم نصيبٌ وافرٌ مِن ذلكَ التَّقدُّمِ والازدهارِ وإنْ تأخَّرُوا غُلِبَتْ لغتُهم على أمرِها كأهلِها وتقوقعَتْ على نفسِها بل لعلَّ ذلكَ يورثُها مكانةً مهينةً ومبتذلةً بينَ لغاتِ العالمِ لذا يجبُ أنْ نعنى بها في حياتِنا ونحببَها لدى الدَّارسينَ مِن خلالِ اختيارِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ المشوِّقةِ، وعدمِ الانحرافِ بالتَّأويلاتِ التي لا طائلَ فيها.

إنَّ اللُّغة العربيَّة مِن أعذبِ اللُّغاتِ منطقاً وأطيبها جرساً وأشدِّها مطاوعة وأكثرها اطّراداً وأقلّها شذوذاً.

المقدِّمة

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلهِ وأصحابِهِ... أمَّا بعدُ: فاللُّغةُ كما هو معلومٌ أداةٌ مهمةٌ مِن أدواتِ الحضارةِ وعاملٌ أساسٌ في نشأتِها واستمرارِها وتطوُّرِها وهي التي تميِّزُ الإنسانَ عن غيرِهِ ولا يخفى على أحدٍ أنَّ اللُّغة العربيَّة عريقةٌ في القدمِ وقد نشأتْ ونمَتْ وتطوَّرَتْ حتى وصلتْ إلينا كاملةً ناضجةً، وقد تجسَّدَ ذلكَ في نصوصِ الشِّعرِ الجاهليِّ وما نُقِشَ منها قبلَ نزولِ القرآنِ الكريمِ على الصُّخورِ والكهوفِ في نواحي شمالِ الحجازِ وطورِ سينا وأطرافِ سوريا. وليس في إثباتِ حضارةِ الأمَّةِ العربيَّةِ كبيرُ عناءٍ ولاسيَّما الإنجازاتِ التي قامَ بها العلماءُ مِن بحوثٍ استندُوا فيها إلى ما اكتشفوه مِن آثارٍ في باطنِ بقاعٍ مختلفةٍ في أقطارٍ عربيَّةٍ كثيرةٍ. وما زلنا في أمسِّ الحاجةِ إلى البحثِ في أقطارِ هذا الوطنِ، فإنَّ جوفَ أرضِنا يحتوي الكثيرَ مِن الكنوزِ التي تنتظرُ مَن يُظهرَها إلى النُّورِ. أمَّا المفرداتُ التي تشيرُ إلى الجانبِ الماديِّ مِن حضارةِ هذه الأمَّةِ فهي أكثرُ مِن أنْ تُحصى مثلَ: الزجاجِ، والحريرِ، والكؤوسِ، والنَّمارقِ، والقصورِ الشاهقاتِ إلى غيرِ ذلكَ من المفرداتِ التي لا تُحصى. وفيما أوردْناهُ مِن مفرداتٍ دليلٌ واضحٌ على أنَّ لغتَنا العربيَّة لغةُ حضارةٍ وقيمٍ إنسانيَّةٍ. وفضلاً عن ذلكَ فإنَّها خزنَتْ لنا تراثاً راقياً أدبياً وأخلاقياً صارَ اليومَ مُلكاً لكلِّ البشريَّةِ جمعاء، تتناقلُهُ اللُّغاتُ منها وتجعلُهُ نصبَ أعيُنِها وليسَ بخافٍ على أحدٍ كنوزٌ إنسانيَّةٌ مِن قبيلِ: الشِّعرِ العربيِّ القديمِ، وألفِ ليلةٍ وليلةٍ، وحي بن يقظان، ورسالةِ الغفران، ومقدِّمةِ ابن خلدون.

وإذا ما جئْنَا إلى النَّاحيةِ التَّطبيقيَّةِ في الجَّانبِ الماديِّ فإنَّنا نجدُ الحديثَ عنها متشعِّباً لا يحتملُهُ هذا المقامُ ولكنَّنا نشيرُ في بحثِنا بعُجالةٍ إلى تاريخِ هذهِ اللُّغةِ وحضارتِها مِن خلالِ مبحثين درسْنا في الأوَّلِ منهما: مفهومَ اللُّغةِ العربيَّةِ وقيمَها

الإنسانيَّة قبلَ الإسلامِ مِن خلالِ معرفةِ العربِ للقراءةِ والكتابةِ والزِّراعةِ والتِّجارةِ والعمارةِ وقد تجسَّدَ ذلكَ في أشعارهم منذُ زمنٍ بعيدٍ وأيامِهم التي عاشوها.

وأمَّا المبحثُ الثَّانيُ فقد تناولنا فيهِ أثرَ القرآن الكريمِ على تطويرِ اللُّغةِ العربيَّةِ الذي هو أكبرُ برهانٍ على أنَّ اللُّغة العربيَّة لغةُ حضارةٍ وأنَّها من أعظمِ اللُّغاتِ شأناً وأرفعَها منزلةً فقد تضمَّنَ الكتابُ العزيزُ الدَّعوةَ إلى أعظمِ القيمِ الإنسانيَّةِ شأناً ورفعةً إذ جاءَ بأسلوبٍ عجزَ البشرُ أنْ يأتُوا بمثلِهِ ولنْ يأتُوا بذلكَ ولو كانَ بعضُهم لِبعضٍ ظهيراً.

ولم أدخرْ وسْعاً أنْ أمنحَ بحثيَ هذا كُلَّ ما تطلَّبَ مِن جهدٍ، ولسْتُ بمُدَّعٍ أنَّ بحثيَ هذا قد خلا مِن الهَناتِ، فخلو أيِّ عملٍ مِنها غايةٌ لا تُدْرَكُ مهما يسعَ صاحبُها إلى تجنُّبِ ذلكَ فهو بشرٌ، فإنْ أخفقْتُ أسألُ اللهَ أنْ يغفرَ زلَّاتي وأنْ يُلهمني السَّدادَ والصَّوابَ إنَّهُ نِعْمَ المولى.

المبحثُ الأوَّلُ

اللُّغةُ العربيَّةُ مفهوماتُها وقيمُها

مِن أينَ نبدأ الحديثَ عن هذهِ اللُّغةِ العظيمةِ ؟ ... مِن أقصى الشَّرق إلى أقصى الغربِ، وكيفَ نُثبتُ للُّغةِ العربيَّةِ حضارتَها، وقيمَها الإنسانيَّة ؟؟.

اللُّغةُ - أيُّ لغةٍ كانَتْ - ظاهرةٌ إنسانيَّةٌ اجتماعيَّةٌ نعرفُ بها الملامحَ المميِّزةَ لكلِّ مجتمعٍ في كلِّ عصرٍ مِن عصور التَّأريخ [١].

ولا مجالَ للشَّكِّ في أنَّ دراسةَ اللُّغةِ العربيَّةِ هي الأساسُ الرَّصينُ لدراسةِ الحضارةِ العربيَّةِ والتَّعمُّق في فهم العالمِ العربيِّ، والقيمِ الإنسانيَّةِ [٢].

وحتى نُثبتَ بصورةٍ علميَّةٍ أنَّ اللُّغة العربيَّة هي لغةُ حضارةٍ ذاتَ قيمٍ فإنَّ علينا أنْ نوضِّحَ أنَّ الأمَّة العربيَّة أمَّةٌ متحضِّرةٌ وأنَّ حضارتَها تمتدُّ إلى أمدٍ بعيدٍ لهُ في رَحمِ الزَّمان شأنٌ كبيرٌ.

وإذا ما تمَّ لنا ذلكَ فإنَّ لغتَنا تصبحُ بعدَ ذاكَ لغةً حضاريةً؛ لأنَّ لغةَ كلِّ أمَّةٍ وعاءُ ثقافتِها، وصورةُ تفكيرِها وحياتِها.

نحنُ نستطيعُ وبكلِّ يُسرٍ أنْ نجدَ في اللُّغةِ العربيَّةِ بعضَ ما يدلُّنا على نوعِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ والسِّياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والفكريَّةِ؛ لأنَّ في مدلولاتِ مفرداتِ تلكَ اللُّغةِ ما يُعيننا على ذلكَ وليسَ في إثباتِ حضارةِ الأمَّةِ العربيَّةِ كبيرُ عناءٍ بعدَ ما قامَ بهِ العلماءُ مِن دراساتٍ وبحوثٍ استندُوا فيها إلى ما اكتشفوه مِن آثارٍ في بقاعٍ مختلفةٍ من أرضِ العروبةِ.

الآنَ دعونا نتساءَل: لماذا نقولُ: لغةٌ عربيَّةٌ؟ وننسبُ هذهِ اللُّغةَ العظيمةَ للعربِ؟ طبعاً ليس لأنَّ العربَ اخترعُوا هذهِ اللُّغةَ الجميلةَ أو هم أوَّلُ مَن تحدَّثَ بها، ونُذكِّرُ هنا ونقولُ: أنَّ فكرةَ أنَّ إسماعيلَ - عليهِ السَّلامُ - هو أوَّلُ مَن تفتَّقَ لسانُهُ عن اللُّغةِ العربيَّةِ، بحسبِ ما نقلتْهُ لنا المعاجمُ العربيَّةُ القديمةُ [٣]، صارَ من المطلوبِ تجاوزُها؛

لأنَّهُ أصبحَ من الثَّابتِ أنَّ اللّسانَ العربيَّ المبينَ أقدمُ من إسماعيلَ - عليهِ السَّلامُ - وبحسبِ ما جاءَ في القرآن الكريم فإنَّهُ يؤكّدُ أنَّ اللسانَ العربيَّ كانَ دائماً في زُبُر الأوَّلينَ، قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء، الآية: ١٩٦].

وما يدلُّ على قدمِ اللغةِ العربيَّةِ وأصالتِها ما نقلهُ صاحبُ اللّسان عن رسولِ اللهِ (صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم) إذ قالَ: ((وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: خَمْسَةٌ أَنْبِيَاءَ مِنَ الْعَرَبِ، وَهُمْ: مُحَمَّدٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَشُعَيْبٌ، وَصَالِحٌ، وَهُودٌ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ قَدِيمٌ)) (٤) .

ومعروفٌ مِن خلالِ الدّراساتِ اللُّغويَّةِ الحديثةِ والعديدةِ التي باتَتْ تُؤَكّدُ بما لا يدعو للشَّكِّ أنَّ الألفاظ والتَّعابيرَ والكلماتِ المستمدَّةَ بجذورها مِن اللّسان المبين لا تزالُ تشكّلُ نسبةً هائلةً مِن منطوق معظمِ لغاتِ الشُّعوبِ في العالمِ مِن اليابانيَّةِ إلى الصِّينيَّةِ إلى الهنديَّةِ إلى الفارسيَّةِ ومِن الألمانيَّةِ إلى اللّاتينيَّةِ إلى اليونانيَّةِ إلى الأفريقيَّةِ ((إنَّ الأبجدَ هوَّزَ العربيَّة أصلُ الأبجديَّاتِ جميعاً. والأبجديَّةُ اللّاتينيَّةُ لفظاً وكتابةً هي فرعٌ من الأبجديَّةِ العربيَّةِ، ولكن هذا ليسَ بسببِ الحضارةِ العربيَّةِ الإسلاميَّةِ فحسب كما كانَ يُعْتقدُ، إنَّما ثبتَ الآنَ أنَّ جذورَ تلكَ اللُّغاتِ غيرِ المبينةِ أساساً مشتقّةٌ مِن اللّسان العربيِّ المبين، مِن ذلكَ أنَّ اسمَ إبراهيمَ أصبحَ في الهندِ براها، وفي أوربا إبراهام، وفي أفريقيا إبرهه، والأصلُ واحدٌ، وكذلكَ كلمةُ موسى التي أصبحَتْ في الهندِ بوذا بعد قلبِ الميمِ باءً، مثلَ مكةَ التي كانَتْ بكةَ التي تعني بالعربيَّةِ البيتَ العتيقَ، صارَت تعني في اللّغةِ الإنكليزيَّةِ مدينةَ الإنسانِ القديم)) (٥).

وممَّا لا شَكَّ فيهِ أنَّ العربيَّةَ في العصرِ الجاهليِّ من قبلِ التَّأريخِ إلى ظهورِ الإسلامِ سنةَ (٦٢٢م) بلغَتْ شأواً بعيداً في النُّضجِ والاكتمالِ ممَّا يدلُّ دلالةً قاطعةً على أنَّ هذهِ اللغةَ ترجعُ في أعماقِ التأريخِ إلى آمادٍ بعيدةٍ؛ لأنَّ مثلَ هذا التَّطوُّرِ الهائلِ لا يمكنُ بداهةً أنْ يتمَّ بين ليلةٍ وضحاها .. وإذا كانَ التأريخُ لم يعِ جيِّداً خطواتِ

هذا التَّطوُّر اللُّغويِّ منذُ فجرِ التأريخ وعياً كاملاً فإنَّ هذا لا يعني أبداً أنَّ هذا الفجرَ غيرُ موجودٍ (٦).

وممَّا يعزِّزُ الدَّعوةَ إلى المبادرةِ إلى البحثِ في هذهِ اللُّغةِ لإثباتِ قِدمِ حضارةِ هذهِ الأمَّةِ إنَّنا في عصرٍ لا يجوزُ لمَن يريدُ أنْ يتلاءَمَ معهُ أنْ يجهلَ ما تحتويهِ اللُّغةُ مِن كنوزٍ أو يجهلَ تأريخَ أمَّتهِ السَّامي وكيفيَّة تطوِّرِ حضارتِها ولغتِها كما أنَّهُ لا بدَّ مِن أنْ يبذُلَ كلَّ ما في وسعِهِ لرقيِّ لغةِ هذهِ الأمَّةِ والنُّهوضِ بها. ومهما يكنْ مِن شيءٍ فإنَّ اللُّغة العربيَّة ما تزالُ بحاجةٍ إلى جهودٍ كثيرةٍ باذلةٍ للكشفِ عن جوانبِ الرَّوعةِ والإبداعِ التي تكمنُ في مصطلحِها الكميِّ وفي نوعيَّةِ ما تعطيه على المستوى التَّعبيري مِن دخولٍ في مُعتركِ الحياةِ الإنسانيَّةِ في جوانبها كافة، وذلكَ بمتابعةِ ما يَجِدُّ في اللُّغاتِ الحيَّةِ من مفرداتٍ يفرضُها التَّطوُّرُ العلميُّ والمخترعاتِ الكثيرةِ المتلاحقةِ (٧).

وعلى أيَّةِ حالٍ فهناكَ ألفاظُ الرَّحمةِ والشَّفقةِ والثَّورةِ والعدلِ والمساواةِ والظُّلمِ والحكمِ وكثيرٍ من المفرداتِ التي تشيرُ إلى الجَّانبِ المعنويِّ من الحضارةِ. وأمَّا المفرداتُ التي تشيرُ إلى الجانبِ الماديِّ من الحضارةِ فهي أكثرُ من أنْ تحصى، مثلَ الزُّجاجِ والحديدِ والكؤوسِ والكراسي والنَّمارقِ والإستبرقِ والسُّندسِ والقصورِ إلى غيرِ ذلكَ من المفرداتِ التي لا يمكنُ حصرُها وهذا دليلٌ على أنَّ لغتَنا العربيَّة لغةُ حضارةٍ ورقيٍّ.

وإذا ما جئنا إلى الجَّانبِ التَّطبيقيِّ في الجانبِ الماديِّ فإننا نجدُ الحديثَ عنهُ متشعِّباً لا يحتملُهُ هذا المجالُ ولكنَّنا نكتفي بالإشارةِ إليهِ فنقولُ بأنَّهم عرفُوا القراءةَ والكتابةَ منذُ أقدمِ العصورِ ((ولمَّا كانَتْ الخطوطُ العربيَّةُ في الجاهليَّةِ ذاتَ أسماءٍ خاصَّةٍ تُعرفُ بها ويتميَّزُ بعضُها عن بعضٍ كانَ لابُدَّ من إطلاقِ اسمٍ خاصٍّ على الخطِّ العربيِّ آنذاك ليُعرفَ بهِ ويتميَّزَ عن غيرهِ وقد رأيْنا أنْ ندعوهُ (الخطَّ الإسلاميَّ)

لا لأنَّهُ من مبتكراتِ الإسلامِ إذ كانَ معروفاً عندَ العربِ قبلَ البعثةِ الإسلاميَّةِ ولكن لأنَّ الإسلامَ كان هو السببَ الجوهريَّ في انتشارِهِ وشيوعِهِ وبقائِهِ إلى الآن)) (٨).

إنَّ هذهِ المادَّةَ الحضاريَّة تتَّصلُ بالدِّين والكتابةِ والفنون والزِّراعةِ والمهن والتِّجارةِ والطِّعامِ والشَّرابِ والعطورِ والحليِّ. ومن المعلوم لدى الدَّارسينَ أنَّ هذا كلَّهُ من لوازمِ الحضارةِ، وأنَّهُ يُشعرُ بأنَّ العربَ الأقدمينَ - على أصولهم البدويَّةِ – أنسُوا بالاستقرار فكانَ مِن ذلكَ هذهِ الفوائدُ الحضاريَّةُ، التي منها الاهتمامُ بالجَّانبِ العقائديِّ في أدبيَّاتِهم وقيمِهم الانسانيَّةِ.

وممَّا يدلُّ على التزامِ الشَّاعرِ العربيِّ بشيءٍ مِن الفكرِ الدِّينيِّ والعقائديِّ قولُ الأعشى يمدحُ بني شيبانَ بن ثعلبة يومَ ذي قار إذ يقولُ:

بَلْ اللهَ فاعْبُدْ، لا شَريْكَ لِوَجْهِهِ يَكُنْ لكَ فِيمَا تَكْنَ اليَوْمَ رَاعِياً (٩)

وقالَ يمدحُ النُّعمانَ بن المنذر ذاكراً اللهَ عزَّ وجلَّ:

فلا تَحْسَبَنِّي كَافِراً لكَ نِعْمَةً عَلَيَّ شَهِيْدٌ شَاهِدُ اللهِ، فاشْهَدِ (١٠)

وفي نصوص أدبنا العربيِّ القديمِ إشاراتٌ كثيرةٌ لأنبياءِ بني إسرائيلَ كسليمانَ الحكيمَ و داودَ كما في شعرِ الأعشى والنَّابغةِ، فسليمانُ النبيُّ عندَ الأعشى هو الذي بنى حضرَ الأبلق، وهو في شعرِ النَّابغةِ قد أمرَ بإذلالِ الجنِّ في بناءِ مدينةِ تدمرَ (١١).

وإذا تجاوزْنا هذا كلَّهُ ووقفْنا على إشاراتٍ أخرى في الشِّعرِ الجاهليِّ نُشيرُ إلى الحِرفِ

ومِنها صنعةُ الحليِّ مِن الذَّهبِ والفضَّةِ وصناعةِ السُّيوفِ، والعودةِ إلى دواوين الشِّعرِ الجاهليِّ نُشيرُ إلى ذلكَ، إلى جانبِ ما في هذهِ الأرضِ المباركةِ الطَّيِّبةِ مِن آثارٍ كثيرةٍ تدلُّ على أنَّ حضارةَ هذهِ الأمَّةِ عريقةٌ فقد جاءَ في كتبِ التأريخِ أنَّ الذَّهبَ يُستخرجُ مِن مواضعَ في جزيرةِ العربِ خالصاً نقيّاً لا يُعالجُ بالنَّارِ لاستخلاصِهِ مِن الشَّوائبِ الغريبةِ ولا يُصهرُ لتنقيتِهِ (١٢).

وقد احتوى أكثرَ مِن هذا الذي ذكرْناهُ وليسَ هنا محلُ ذكرِ هذهِ الموضوعاتِ وكلُّ ما قصدْنا إليهِ هو أنْ نُشيرَ إلى محتوى الشِّعرِ العربيِّ قبلَ الإسلامِ مِن حيثُ المضمون أمّا مِن حيثُ الشَّكلِ فإنَّ المتذوِّقينَ مجمعونَ على أنَّ صورتَهُ الفنيَّة صورةٌ متكاملةٌ تدلُّ على نضجٍ وفهمٍ دقيقٍ فهلْ يمكنُ أنْ يكونَ هذا كلُّهُ في أمَّةٍ غيرِ متحضِّرةٍ؟

ومِن مظاهرِ الحضارةِ في حياةِ العربِ معرفتُهم لِلزِّراعةِ ولابُدَّ مِن الإشارةِ إلى ما يتَّصلُ بالزَّرعِ مِن العنايةِ المقصودةِ لأخلُصَ إلى مكانِ اللُّغةِ في هذا اللَّونِ الحضاريِّ إذ اهتمَّ العربُ بالزِّراعةِ اهتماماً نلمحُهُ في أدبهم وإذا كانَ هناكَ اهتمامٌ بالزِّراعةِ فلابُدَّ أنْ يكونَ هناكَ اهتمامٌ آخرُ بنواحي الحياةِ الحضاريَّةِ الأخرى كالاهتمامِ بالحِرفِ، ذلكَ أنَّنا نجدُ ذلكَ في أشعارِهِم فهذا أميَّةُ بن أبي الصَّلتِ مِن الجاهليينَ قد عاشَ في الطَّائفِ الحاضرةِ التي عَرفتْ الزِّراعة والخضرةَ والبساتينَ وهو يُشيرِ إلى ذلكَ في قولِهِ: (١٣)

فأنْبَتْنَا خَضَارِمَ نَاضِرَاتٍ يَكُونُ نِتَاجُهَا عِنَبَاً وَتِيْنَا

وهذا الأعشى قد أشارَ إلى (أثافت) وهي موضعٌ، وأعنابُها المشهورةُ، يقولُ: (١٤)

أحِبُّ أثَافِتَ وَقتَ القِطَافِ وَوَقتَ عُصَارَةِ أعْنَابِهَا

أمَّا ما يتَّصلُ بالغناءِ وآلاتِهِ فهو شيءٌ كثيرٌ، ومثلُ ذلكَ في الصِّناعاتِ (١٥)

((وجملةُ هذهِ الإشاراتِ تشيرُ إلى أنَّ اللُّغة القديمة كما حفلتْ بمظاهرِ البداوةِ الجافية لم تبخلُ بشيءٍ ممَّا يتَّصلُ بالأنماطِ الحضاريَّةِ)). (١٦)

ونحنُ لا نُنكرُ أنْ تكونَ قبلَ الإسلام بداوةٌ كما لا ننكرُ أنْ تكونَ بداوةٌ في العصورِ الإسلاميَّةِ، ولكنَّنا ننكرُ ألّا تكونَ حضارةٌ مزدهرةٌ قبلَ الإسلامِ إلى جانبِ المظاهرِ البدويَّةِ، لقدْ أثبتَتْ الثَّقنيَّاتُ الآثاريَّةُ في شمالي جزيرةِ العربِ أنَّ هناكَ مجتمعاتٍ بشريَّةً متحضرةٌ كشفَتْ عنها النقوشُ في مدائن صالحَ وفي جهاتٍ أخرى في شمالِ الحجازِ فكانَتْ دولةُ اللِّحيانيين ودولةُ القتبانيين ودولةُ الثموديين.

أمّا فيما يتعلّقُ بالعمارةِ فقد دلّتْ النقوشُ والآثارُ التي عثَرَ عليها العلماءُ في طول الجزيرةِ العربيَّةِ وعرضِها على ذلكَ كلّهِ، إذ كانَتْ القصورُ الشّاهقةُ الأنيقةُ معروفةً في جنوبِ الجزيرةِ العربيَّةِ وفي بعض الأماكن مِن شمالِها. (١٧) وفي تلكَ النُّقوش كُتبَتْ أمورٌ كثيرةٌ تكشفُ لنا عن حياتِهم الاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ والتأريخيَّةِ وفيما يلي نصٌّ نقشٍ مِن النُّقوش الذي عَثَرَ عليهِ العلماءُ بعدَ تقريبِهِ مِن لغتِنا اليومَ: ((هذا قبرُ امرئ القيس بن عمرو ملكُ العربِ كلّهم الذي حازَ التّاجَ وملك الأسدين ونزاراً وملكهم وهزمَ مزحج بقوتهِ (عكدى: يقولُ العالمُ Lidzbarski: تدلُّ على القوّةِ) وجاءَ إلى نزجي أو (برجي) في حبج بخران مدينة شمر وملك معداً وأنزلَ (قسم) بينَ بنيه. أرض الشعوبِ، ووكلهُ الفرسَ والرُّومَ فلم يبلغْ ملكٌ مبلغَهُ)) (١٨).

((فالخبرةُ الإنسانيَّةُ المتراكمةُ على مدى الزمن تنعكسُ في اللُّغةِ وتجدُ تعبيراً لها فيها، سواءٌ اتَّخذ ذلكَ التَّعبيرُ شكلَ الكلامِ العاديِّ أو الكتابةِ المعروفةِ أو الرُّسومِ والنُّقوش التَّصويريَّةِ التي تركَها الإنسانُ المبكّرُ على جدران الكهوفِ أو حتى في الانجازاتِ الفنيَّةِ المختلفةِ مِن معماريَّةٍ أو موسيقيَّةٍ أو حركيَّةٍ كالرقص والتَّمثيل الصَّامتِ ما دامَتْ كلُّها تُتَرْجمُ في آخرِ الأمرِ ألفاظاً وتصوُّراتٍ ومفهوماتٍ، ما دامَتْ تعبّرُ عن أفكارنا ومشاعرنا وتنقلُهُ إلى الآخرينَ. فاللُّغةُ حتى في معناها الضَّيِّق الرَّقيق الذي يقتصرُ على الكلامِ والكتابةِ عنصرٌ أساسيٌّ في حياةِ البشرِ؛ إذ بدونِها يصعبُ قيامُ الحياةِ الاجتماعيَّةِ المتماسكةِ وبالتَّالي يستحيلُ قيامُ الحضارةِ)) (١٩).

أمّا كتابةُ زبدٍ فمكتوبةٌ بثلاثِ لغاتٍ: اليونانيَّةُ والعربيَّةُ والسِّريانيَّةُ، وزبدٌ اسمُ خربةٍ موجودةٍ بين قنسرينَ ونهرِ الفراتِ وتأريخُ كتابةِ زبدٍ يرجعُ إلى سنةِ خمس مائةٍ وإحدى عشرةَ ب.م (٢٠).

وهناكَ شيءٌ آخرُ لا يقلُّ أهميَّةً عمّا أشرنا إليهِ مِن قبلُ وأعني بذلكِ الشِّعرَ العربيَّ القديمَ فإنَّكَ إذا ما نظرْتَ إليهِ وجدْتَهُ يرسمُ صورةً واضحةَ المعالمِ صادقةَ

مشرقةً لحياةِ الأمَّةِ في تلكَ الحقبةِ أعني بذلكَ تلكَ القيمِ النَّبيلةِ التي اصطلحَ عليها العربُ آنذاك مِن الكرمِ والمروءةِ والعنايةِ بالأنسابِ، والفخرِ والشَّجاعةِ والتفاني في الدِّفاعِ عن القيمِ ونبذِ الجبنِ والبخلِ والغدرِ إلى غيرِ ذلكَ مِن القيمِ الانسانيَّةِ المحمودةِ والمذمومةِ ويسعدُنا ((أنْ نُعدَّ الجاهليَّة حجرَ الأساسِ في صرحِ الثَّقافةِ والحضارةِ العربيَّةِ)) [٢١]. وهي إلى ذلكَ ((تملكُ سجلاً راقياً لأدبٍ رفيعٍ على مدى قرونٍ طويلةٍ فأشعارُها التي ما زالتْ جزءً حيوياً مِن حياتِنا الأدبيَّةِ والتَّعليميَّةِ ممتدَّةِ الجذورِ إلى القرنِ الرابعِ الميلاديِّ بل ما وردَ مِن تلكَ الأشعارِ والأخبارِ ما زالتْ تلهجُ بهِ ألسنتُنا

وتخفقُ له القلوبُ وتستريحُ لهُ النُّفوسُ ممَّا يدلُّ على قوةِ حيويَّتِهِ ورقيِّ معانيهِ)) [٢٢].

ولا يفوتُنا أنْ ننوِّهَ في هذا المقامِ إلى قضيَّةٍ شغلتْ الدَّارسينَ قديماً وحديثاً ألا وهي لفظةُ الجَّاهليَّةِ التي أطلقتْ على العصرِ العربيِّ قبلَ الإسلامِ، ليستْ هي مشتقَّةٌ في هذا المقامِ مِن الجهلِ الذي هو ضدُّ العلمِ ونقيضُهُ وإنَّما هي مشتقَّةٌ مِن الجهلِ الذي يعني سرعةَ الغضبِ، وفعلَ الشَّيءِ بخلافِ ما حقُّهُ أنْ يفعلَ، والتَّفرُّدَ والانقيادَ إلى نظامٍ مخالفٍ لنظامِ الدِّينِ الإسلاميِّ، وهي تقابلُ كلمةَ الإسلامِ التي معناها الخضوعُ والانقيادُ، وقد وردَتْ الكلمةُ في الذِّكرِ الحكيمِ والحديثِ النَّبويِّ الشَّريفِ والشِّعرِ الجَّاهليِّ بهذا المعنى مِن الحميةِ والطَّيشِ والغضبِ والجهلِ بالإسلامِ، وقد ذكرَ الرَّاغبُ هذهِ المعانيَ بقولِهِ: ((الجهلُ على ثلاثةِ أضربٍ: الأوَّلُ: وهو خلوُّ النَّفسِ مِن العلمِ ، وهذا هو الأصلُ، وقد جعلَ بعضُ المتكلمينَ معنى مقتضياً للأفعالِ الخارجةِ عن النِّظامِ كما جعلَ العلمَ معنى مقتضياً للأفعالِ الجاريةِ عن النِّظامِ . الثاني: اعتقادُ الشَّيءِ بخلافِ ما هو عليهِ. والثالث: فعلُ الشَّيءِ بخلافِ ما حقُّهُ أنْ يفعلَ سواءٌ أعتقدَ فيهِ اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمَنْ تركَ الصَّلاةَ متعمداً وعلى هذا قولُهُ تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٦٧] فجعلَ فعلَ

الهزوِّ جهلاً)) [٢٣]. قالَ المنتجبُ الهمذانيّ : ((لأنَّ الهزءَ في مثلِ هذا مِن بابِ الجهلِ والسّفهِ)) [٢٤]. وما الجَّاهليَّةُ إلّا الحالُ التي كانَتْ عليها العربُ مِن الجهلِ باللهِ تعالى ورسولِهِ وكتابِهِ وشرائعِ الدِّين والمفاخرةِ بالأنسابِ والكبرِ والتَّجبرِ وغيرِ ذلكَ [٢٥].

والجهلُ بهذا المفهومِ وردَ في كلامِ العربِ وأشعارِها فهذا عمرو بن كلثوم التَّغلبيّ يقولُ:

ألا لا يَجْهَلَنَّ أحَدٌ عَلَيْنَا فنَجْهَلَ فوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

نجهلُ عندَ ابن كلثومٍ معناهُ فنهلكُهُ ونعاقبُهُ بما هو أعظمُ مِن جهلِهِ فنسبَ الجهلَ إلى نفسِهِ وهو يريدُ الإهلاكَ والمعاقبة ليزدوجَ اللَّفظان فتكونَ الثَّانية على مثلِ لفظِ الأولى وهي تخالفُها في المعنى لأنَّ ذلكَ أخفُّ على اللّسان وأخصرُ من اختلافِهما [٢٦].

وواضحٌ مِن هذهِ النُّصوص جميعُها أنَّ الكلمة استخدمَتْ في القديمِ للدَّلالةِ على السُّفهِ والطَّيشِ والهلاكِ والحمقِ وهذا التَّفسيرُ للجاهليَّةِ هو الذي يوضِّحُ انجذابَ العربِ حينَ سمعُوا القرآنَ الكريمَ فإنَّهم معَ شدَّةِ تعصُّبِهم لعاداتِهم وتقاليدِهم وعبادتِهم للأوثانِ وخوفِ الأغنياءِ والزُّعماءِ مِنهم على مكانتِهم وأموالِهم، فقد كانوا لا يملكونَ أنفسَهم مِن التَّأثرِ العميقِ بالقرآنِ الكريمِ وعلى هذا فإنَّ لفظة الجاهليَّةِ تعني فعلَ الشَّيءِ بخلافِ ما حقُّه أنْ يفعلَ سواءٌ أعتقدَ فيهِ

اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمَن يتركُ الصَّلاةَ متعمداً لها [٢٧].

وإذا جارينا مَن هو متحاملٌ على العربِ ويصفُهم بالجهالةِ ولم نأخذْ بهذا التَّفكيرِ للجاهليةِ فإنَّ التَّأريخَ العربيَّ القديمَ سوفَ يقعُ في متناقضاتٍ لا يمكنُ أنْ يقبلها العقلُ البشريُّ إذ إنَّ الأمَّة الجاهلة لا يمكنُ أنْ تفعلَ ما فعلهُ العربُ ولا يمكنُ أنْ تستجيبَ بمثلِ هذهِ السُّرعةِ لمفاهيمِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ العظيمةِ التي غيَّرَتْ مجرى التَّأريخِ، هذهِ الثَّورةُ الحقيقيةُ على السُّفهِ والطَّيشِ والنَّزقِ والظُّلمِ والجورِ وما إلى ذلكَ مِن الزوائلِ، ولا يفوتُنا ما فعلهُ العربُ في بلادِ الأندلسِ حينما شيَّدوا أعظمَ حضارةٍ عرفتْها الأجيالُ التي استقت مِنها الأممُ أعظمَ العبرِ والدُّروسِ.

ونجدُ أنَّ ((هناكَ كماً ضخماً مِن الإبداعاتِ في جميع المجالاتِ الإنسانيَّةِ والحضاريَّةِ وصلتْ إلينا كأضخم تراثٍ إنسانيٍّ مِن العصور الوسطى كُتِبَ بلغةِ الضادِ، حقيقةً إنَّ هناكَ مؤلفاتٍ بالفارسيَّةِ والتُّركيَّةِ إلا أنَّ العربيَّةَ خلالَ تلكَ العصور أثبتَتْ بما لا يدعُ مجالاً للشَّكِّ أنَّها قادرةٌ على أنْ تكونَ لغةَ العلوم والمعارفِ وقد انتقلتْ إلى جميع المناطق التي توسَّعَ بها العربُ بل وبهرَتْ الأوروبيينَ أنفسَهم حتى أنَّ أحدَ الإسبان يشتكي مِن أنَّ أبناءَ جيلِهِ عكفوا على تعلُّمِ العربيَّةِ وتجاهلوا اللاتينيَّة)) (٢٨).

((ولم يكنْ العربُ على رأي المستشرق لوبون مِن الأجلافِ قبل الإسلام، وقد رأى أنَّ السجايا الخلقية للعرق العربيِّ هي التي عيَّنَتْ اتجاهَهُ، وأنَّهُ، وإنْ أمكنَ ظهورُ حضارةِ أمةٍ ولغتِها بغتةً على مسرح التَّأريخ، لا يكونُ هذا إلَّا نتيجة نضج بطيءٍ، وأنَّ تطوُّرَ الأشخاص والأمم والنُّظم والمعتقداتِ لا يتمُّ إلَّا بالتَّدريج وأنَّ درجة التَّطوُّر العاليةِ التي تبدو للعيان لا تُبلغُ إلَّا بعدَ الصعودِ في درجاتٍ أخرَ فإذا ما ظهرَتْ أمةٌ ذاتُ حضارةٍ راقيةٍ كانَتْ هذهِ الحضارةُ ثمرةَ ماضٍ طويلٍ)) (٢٩).

ولا يعني رأيُنا هذا أنَّ العربَ يقفونَ في صفٍ واحدٍ مِن التَّثقيفِ والفهم فإنَّ فيهم الجاهلَ الحقيقيَّ كما هو الحالُ في كلِّ أمَّةٍ في عصرنا الحاضر فيها الصالحُ وفيها الطالحُ، كيفَ ننسى أنَّ العربَ قد وضعوا قيماً في مجال العلوم الرِّياضيَّةِ، والكيميائيَّةِ، ومفهوماتٍ دقيقةٍ، وهي تسيرُ اليومَ متوازية مع أحدثِ الأبحاثِ في تلكِ العلوم، ثُمَّ كيفَ ننسى بعضَ مطالع قصائدِ (المتنبي) وهي التي صنعَتْ كالأسهم حِكماً خالصةً، تسمو بها قيمُ الإنسانيَّةِ جمعاءُ.

المبحثُ الثَّاني

القرآنُ الكريمُ وأثرُهُ في اللُّغةِ العربيَّةِ

جاءَتْ الحقبةُ الإسلاميَّةُ فتهيَّأ للُغةِ العربيَّةِ أنْ تكونَ لغةَ الحضارةِ بل لغةَ العلمِ ((إنَّ العلمَ الإسلاميَّ المتمثِّلَ بالكتابِ والسُّنةِ وما تفرَّعَ مِنها مِن علومٍ وفنونٍ وألوان المعرفةِ الأخرى خيرُ شاهدٍ على أنَّ العربيَّة الإسلاميَّة مظهرٌ أخَّاذٌ يبدي قدرةَ هذهِ اللُّغةِ على التَّطوُّرِ السَّريع)) (٣٠).

والقرآنُ الكريمُ هو أكبرُ برهانٍ على أنَّ اللُّغة العربيَّة لغةُ حضارةٍ بل إنَّها مِن أعظمِ اللُّغاتِ شأناً وأرفعُها منزلة. فقد تضمَّنَ كتابُ اللهِ العزيز دعوةً إلى أعظمِ القيمِ الإنسانيَّةِ شأناً وأرفعُها قدراً بأرفعِ أسلوبٍ عجزَ البشرُ أنْ يأتوا بمثلِهِ ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيراً (٣١).

فقد التزمَ القرآنُ اللُّغة العربيَّة وحفظَها مِن الضَّياع، وإنَّ اللُّغة العربيَّة كغيرِها مِن لغاتُ البشرِ خاضعةٌ للتَّغيير والتَّبديلِ وللزَّوالِ والفناءِ وأنَّ القرآنَ بحكمِ أنَّهُ لسان الإسلامِ ومعجزتُهُ الباقيةُ هو الذي حفظَها مِن الضَّياع لأنَّهُ جاءَ على وجهٍ تحدى بهِ العربَ تحدياً صارخاً فذلُوا واستكانُوا فحرصَ كلُّ مسلمٍ على ألفاظِهِ احتفاظاً بالمعجزةِ وتعبداً بتلاوتِهِ ولو أنَّهُ جاءَ كما جاءَ غيرُهُ مِن الكتبِ مجرداً مِن الإعجازِ إنَّما كانَ حتماً على النَّاسِ أنْ يلزمُوا أنفسَهم تعهدَها والتَّعرفَ إليها بل كانُوا يأخذونَ ما فيهِ ممَّا يصلحُهم في معاشِهم ومعادِهم بعدَ أنْ ينقلُوه إلى لغاتِهم فتضطربُ العربيَّةُ أنْ تقفَ وحدَها في معتركِ الحياةِ فلا تزالُ تتطلَّعُ إلى التَّجديدِ حتى تصبحَ في مبدئِها ونهايتِها لغتين أو لغاتٍ متباينةٍ (٣٢).

وواضحٌ أنَّ نظرَ المسلمينَ إلى القرآن الكريم هذا النَّظرَ الذي هو في الواقع مقتضى مِن مقتضياتِ الإسلامِ يستلزمُ أنْ ينظرَ هذهِ النَّظرةَ نفسَها إلى اللُّغةِ العربيَّةِ لأنَّها المرجعُ في حفظِهِ والسَّبيلُ إلى فهمِهِ وأنْ يعدوا كلَّ عدوانٍ عليها عدواناً عليهِ وكلَّ تكريمٍ لها وإشادةٍ بها تكريماً لهُ وإشادةً بهِ.

إذن فإنَّ بقاءَ العربيَّةِ إلى اليوم وإلى أنْ يرثِ اللهُ الأرضَ ومَن عليها راجعٌ إلى الدِّفاع عن القرآن لأنَّ الدِّفاعَ عنهُ لكونِهِ أصلُ الدِّين ومستقى العقيدةِ يتطلَّبُ الدِّفاعَ عنها لأنَّها السبيلُ إلى فهمِهِ بل إنَّها السبيلُ إلى الإيمان بأنَّ الإسلامَ دينُ اللهِ دينُ المحبَّةِ والسَّلام(٣٣).

وحينَ انتشرَ الإسلامُ في مشرق الدُّنيا ومغربها واختلطتْ الأمَّةُ العربيَّةُ بسائر الأمم وانفتحَتْ الأبوابُ على مصراعيها لمعارفِ اليونان والفرس والروم والهنودِ اتَّسعَ صدرُ اللُّغةِ العربيَّةِ الرَّحبِ لِيقبلَ تلكَ المعارفَ الكثيرةَ الواسعة ((ومِن المعلوم أنَّ أكثرَ الألفاظِ التي احتاجَ العربُ إلى تعريبها هي ألفاظُ الحضارةِ والعلوم الداخليةِ فقد اتَّسعَتْ العربيَّةُ أيضا لترجمتِها وتعريبِ مصطلحاتِها وبلغَتْ حركةُ التَّرجمةِ في عصر المأمون أوجَها حينَ عرَّبَتْ ألفاظُ الطِّبِّ والطَّبيعةِ والكيمياءِ والفلكِ والرياضياتِ والفلسفةِ)) (٣٤).

فلو لم تكنْ لغة حضارةٍ لعجزَتْ عن احتواءِ تلكَ المعارفِ الكثيرةِ التي تدافعَتْ كالأمواج المتلاطمةِ.

وإذا عدنا إلى لغتِنا العربيَّة فلا ((يرتابُ أحدٌ مِن الباحثينَ اللُّغويينَ قدامى ومحدثين شرقيينَ وغربيينَ في أنَّ اللُّغة العربيَّة مِن أقدمِ اللُّغاتِ وأقواها أصالة وأوسعُها تعبيراً)) (٣٥).

والذي يدلُّ على حضارةِ لغتِنا العربيَّة وأصالتِها وهي تجاري ركبَ الحضارةِ أنَّهُ ألَّفتْ فيها معاجمٌ كبيرةٌ وفي مصطلحاتٍ جديدةٍ بعضُها يختصُّ بالعلومِ التَّطبيقيَّةِ مثلَ الكيمياءِ والفيزياءِ والطِّبِّ والصَّيدلةِ وعلومِ الأرض وبعضُها يختصُّ بالعلوم الإنسانيَّةِ كالتَّأريخ والفلسفةِ والمنطق (٣٦).

إنَّ أهمَّ ما يميِّزُ لغتَنا عن غيرِها هي خاصِّيةُ الاستمرار والقدرةِ على الانتقال مِن جيلٍ لآخرَ بحيثُ يأخذُ كلُّ جيلٍ عمَّن سبقوهُ ويضيفُ إلى ما أخذَهُ مِنهم ثُمَّ ينقلهُ بعدَ

ذلكَ للأجيالِ التي تأتي بعدَهُ إذن فالخاصِّيَةُ التَّراكميَّةُ هي أهمُّ ما يجعلُ لغتَنا تتميَّزُ عن اللُّغاتِ الأخرى [٣٧].

والعودةُ إلى كتابِ الفهرست لابن النَّديم وتصفحُ ثبتِ الكتبِ المصنَّفةِ في خلق الإنسان وفي الإبلِ والخيلِ والغنمِ والوحوش وفي الحشراتِ والعوامِ وفي الشَّجرِ والزِّراعةِ والنبتِ والبقلِ وفي الأنواءِ والرِّياحِ وفي الأدواتِ المختلفةِ وفي الأدواءِ والأدويةِ وفي الألوانِ والرَّوائحِ والطُّعومِ وفي كثيرٍ غيرِ هذا تجعلُكَ تعجبُ كيفَ وسعَتْ كلَّ هذهِ العلومِ وكيف استطاعَتْ الوفاءَ في مطالبِ التَّأليفِ فيها إنْ لم تكنْ أمةً حضاريَّةً .

وعودةٌ إلى الجَّانبِ التَّطبيقيِّ للُغةِ العربيَّةِ إذ نلاحظُ أنَّ اللُّغة العربيَّة لغةٌ متكاملةٌ مِن حيثُ التَّصريفِ والاشتقاقِ والإعرابِ الذي يعدُّ وسيلةً مِن وسائلِ إظهارِ المعنى وإيضاحِهِ والإفصاحِ عمَّا يقصدُ إليهِ المتكلِّمُ، ومِن حيثُ التَّنوعِ الواسعِ في الجموعِ والمصادرِ وحروفِ العطفِ وأدواتِ الاستثناءِ والنفي والتَّعريفِ والتَّنكيرِ فضلاً عن ذلكَ احتفاظها بحروفٍ ومخارجَ لم تحتفظْ بها لغةٌ ساميَّةٌ احتفاظاً كاملاً، ويميِّزُ العربيَّة أيضاً عن غيرها مِن اللُّغاتِ المجازُ، وهو أنْ تُستعملَ الكلمةُ بدلالةٍ جديدةٍ غيرِ دلالتِها الأولى التي وضعَها الواضعُ الأوَّلُ وتكمنُ أهميَّةُ المجازِ في أنَّهُ وسيلةٌ مهمةٌ مِن وسائلِ التَّوسُّعِ اللُّغويِّ وإثراءِ اللُّغةِ وفي هذا كلِّهِ برهانٌ ساطعٌ على أنَّ اللُّغةَ وصلتْ إلى تفكيرٍ دقيقٍ عميقٍ لأنَّ أيَّ أمَّةٍ لا يمكنُ أنْ تتحدَّثَ بلغةٍ لها مثلُ هذهِ القواعدِ إلا إذا كانَتْ عقليتُها قد وصلتْ مِن النُّضجِ إلى درجةٍ رفيعةٍ [٣٨].

وعودةٌ على ذي بدءٍ فإنَّ للعربيَّةِ ظاهرةَ الإعرابِ ((الذي جعلهُ اللهُ وشيَّاً لكلامِها، وحليةً لنظمِها، وفارقاً في بعضِ الأحوالِ بينَ الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعلِ والمفعولِ، ولا يفرَّقُ بينَهما إذا تساوَتْ حالُهما في إمكانِ الفعلِ أنْ يكونَ لكلِّ واحدٍ مِنهما إلَّا بالإعرابِ)) [٣٩]

إنَّ الحضارةَ الحديثةَ شيءٌ جديدٌ وإنَّ مطالبَها جديدةٌ ذلكَ أنَّها تتَّسعُ كلَّ يومٍ مِن حيثُ إنَّ المعرفة الإنسانيَّة تتقدَّمُ وهي لا تفتأ تتقدَّمُ ولقد فرضَتْ ألواناً كثيرةً مِن الحضارة الحديثةِ على النَّاس في بقاعِ المعمورةِ المختلفةِ.

لقد فُرضَتْ هذهِ الألوانُ الحديثةُ على شعوبٍ متحضِّرةٍ كانَ لها في مضمار الحضارةِ مكانٌ بارزٌ فما بالُكَ بالشُّعوبِ البدائيَّةِ أو قلْ ما يسمَّى النَّامية مِن بلدان العالمِ الثَّالثِ التي أخذتْها هذهِ الموجةُ العاتيةُ فتأثَّرَتْ بها في نوعٍ مِن السُّلوكِ اليوميِّ كالقبائلِ المتخلِّفةِ في أفريقيا وآسيا وغيرها.

لقد أخذْنا أنفسَنا بالحضارةِ والعلمِ الجديدِ وهو في الأغلبِ الأعمِّ حقٌّ علينا لابدَّ أنْ نأخذَ به لأنَّنا متحضرِّونَ منذُ عصورٍ عديدةٍ نعم إنَّنا ورثةُ حضارةٍ إسلاميَّةٍ عريقةٍ وكانَ العربُ مِن كبار مبدعيها وصانعيها هذهِ الحضارةُ كُتِبَ لها أنْ تكونَ حضارةَ العالمِ القديمِ في العصورِ التي اصطلحَ عليها مؤرِّخو الغربِ بـ (العصور الوسطى) وقد أتيحَ فيها للُّغةِ العربيَّةِ أنْ تكونَ لغةَ الحضارةِ القديمةِ بعلومِها وآدابها وفنونِها.

لقد كتبَ بالعربيَّةِ غيرُ العربِ مِن المسلمينَ وقصرُوا عليها علومَهم وفلسفتَهم حتَّى عُرفُوا بها ولم يكتبُوا بغيرها ولقد بلغَ مِن تمسُّكِهم بها أنْ صارَتْ لغتَهم وعدُّوها هم أنفسَهم لغتَهم فليسَ غريباً أنْ نعدَّهم نحنُ اليومَ مِن المشاركينَ في بناءِ الحضارةِ الإسلاميَّةِ (٤٠).

إنَّ هذهِ الحضارةَ وإنْ كانَتْ ذاتَ صفاتٍ إسلاميَّةٍ هي عربيَّةٌ أيضا لأنَّ للفكرِ العربيِّ فيها مكانٌ خاصٌّ واضحٌ كلَّ الوضوح ولأنَّها أفرغَتْ بهذهِ اللُّغةِ واستطاعَتْ هذهِ الأدواتُ اللُّغويَّةُ أنْ تكونَ أوعيةً وافيةً بالغرضِ فاستوعبَتْها وحبَّبَتْها إلى غيرِ العربِ مِن المسلمينَ وغيرهم.

لقد بلغَتْ هذهِ الحركةُ مبلغاً عظيماً في الوقتِ الذي كانَتْ فيهِ أوربا خاملةَ الذِّكرِ والنَّشاطِ وظلَّ المسلمونَ أساتيذَ العالمِ حتَّى القرنين الثالثَ عشرَ والرَّابعَ عشرَ على عكسِ ما نراهُ اليومَ فقد كانَ الشَّابُّ الغربيُّ الذي يريدُ التَّعلُّمَ يقصدُ وجهةَ الشَّرقِ وفي

هذا يقولُ بيرنارد لويس : ((وفي القرن الثاني عشرَ شرعَ العلماءُ مِن البلادِ الشِّماليَّةِ وبخاصَّةٍ مِن انكلترا يزورونَ الجامعاتِ العربيَّةِ في اسبانيا للبحثِ عن العلومِ والمعرفةِ)) (٤١).

ولا يخفى أنَّ هذا الدَّافعَ قد تلاشى ودالتِ الأمورُ فما عادَ شبابُ الغربِ يندفعُ نحو الشَّرق لِينهلَ العلمَ بل أخذَ المسلمونَ يندفعونَ نحو الغربِ ليدرسُوا في معاهدِهِ وجامعاتِهِ.

وممَّا يدلُّ على عظمةِ هذهِ اللُّغةِ وعلو شأنِها اعترافُ المستشرقينَ بخلودِها إذ كتبَ المستشرقُ (جول فرن) قصَّةً خياليَّةً بناها على سيَّاح يخترقونَ طبقاتِ الكرةَ الأرضيَّةَ حتَّى يصلُوا أو يدنُوا مِن وسطِها ولمَّا أرادُوا العودةَ إلى ظاهرِ الأرض بدا لهم أنْ يتركُوا هنالكَ أثراً يدلُّ على مبلغِ رحلتِهم فنقشُوا على الصَّخرِ كتابةً بالعربيَّةِ ولمَّا سُئِلَ (جون فرن) عن وجهِ اختيارِهِ للُّغةِ العربيَّةِ قالَ: إنَّها لغةُ المستقبلِ ولا شكَّ أنْ يموتَ غيرُها وتبقى حيَّةً حتَّى يرفعَ القرآنُ نفسَهُ (٤٢).

ولا ننسى أنَّ العربيَّةَ كانَتْ أيضاً في العصورِ الوسيطةِ لغةَ العلمِ والفلسفةِ بل هي مَن حفظَ جزءً لا يُستهانُ بهِ مِن تراثِ الإغريقِ المفقودِ عندَهم؛ فعادَ إليهم بعدَ ذلكَ عن طريقِ إعادةِ ترجمتِهِ مِن العربيَّةِ إلى لغتِهم وليسَ بعيداً عنَّا في هذا الشَّأن جملةٌ مِن كتبِ أفلاطون. والعربيَّةُ أيضاً كانَتْ لغةَ المنطقِ العظمى وبها تمَّتْ الشُّروحُ الكبرى الخاصَّةُ بهِ على يدِ رجالٍ مِن أمثالِ الفارابيِّ وابنُ سينا وابن رشدٍ بل بها وضعَ ابنُ سينا أوَّلَ كتابٍ في منطقِ المشرقيينَ (٤٣).

((إنَّ الفاتحينَ الذينَ ظهرُوا قبلَ العربِ لم يستطيعوا أنْ يفرضُوا على الأممِ المغلوبةِ لغاتِهم قدْرَ العربِ ، بالعكس، على فرض لغتِهم عليهم، ولمَّا صارَتْ اللُّغةُ العربيَّةُ عامةً في جميعِ اللُّغاتِ التي استولُوا عليها حلَّتَ محلَّ ما كانَ فيها مِن اللُّغاتِ كالسريانيَّةِ واليونانيَّةِ والقبطيَّةِ والبربريَّةِ وكانَ للُّغةِ العربيَّةِ مثلُ ذلكَ الحظِّ زمناً طويلاً حتَّى في بلادِ فارس على الرُّغمِ مِن يقظةِ الفرس ظلَّتْ اللُّغةُ العربيَّةُ في بلادِ

فارس لغة أهل الأدبِ والعلمِ وظلَّ الفرسُ يكتبونَ لغتَهم بالحروفِ العربيَّةِ وتكادُ لا تجدُ إنساناً في تركيا على شيءٍ مِن التَّعليمِ لا يستطيعُ أنْ يفهمَ لغة القرآن بسهولةٍ)) (٤٤). وذكرَ المستشرقُ سيديو ((أنَّ اللَّهجاتَ السائدةَ لولايةِ أوفرن وولايةِ لميوزان الفرنسيتين محشوَّةٌ بالكلماتِ العربيَّةِ وأنَّ أسماءَ الأعلامِ فيها ذاتُ مَسْحَةٍ عربيَّةٍ)) (٤٥).

فما بالُنا أوشكْنا أنْ نؤمنَ أنَّ لغتَنا عتيقة وأنَّها لا تناسبُ العصرَ وأنَّها صعبة وبحرٌ لا ينضبُ وأنَّها وأنَّها وأنَّها ... علماً أنَّ هذهِ اللُّغة قد نهضَتْ بالعبءِ بل الأعباءِ في عصورٍ سلفَتْ وما زالَ فيها ذلكَ المعينُ الثرُّ مِن الألفاظِ ومِن الأبنيةِ التي تصلحُ أنْ تكونَ مادةً علميَّةً في عصرنا هذا عصر التكنلوجيا الحديثةِ.

أكبرُ الظَّن أنَّ هذا حصلَ وأنَّ المثقَّفينَ لا يريدونَ أنْ يسلكُوا هذا المسلكَ ويكتبُوا بالعربيَّةِ ويجعلُوها لغة العمل لأنَّهم لم يتعلَّمُوا هذهِ اللُّغة ولم يقبلُوا عليها بجدٍ وأنَّ طرائقَ تعليمِها عقيمة ولو أنَّنا تتبعْنا المتحدثينَ بها اليومَ لوجدْنا العجبَ العجابَ ولصدقَ مَن قالَ: إنَّ أسوءَ مَن نطقَ بالعربيَّةِ هم العربُ ؟! وهذا يعودُ إلى انعدامِ الجدِّيةِ في تدريس العربيَّةِ بطرائقَ سليمةٍ.

فما يكُ مِن عيبٍ فهو مِن الباحثينَ العربِ لا في اللُّغةِ العربيَّةِ وما تقعُ عليهِ العينُ مِن تخلُّفٍ في أيِّ ميدانٍ مِن الميادين فمصدرُهُ الوحيدُ قلَّةُ اهتمامِنا بتطوُّرِ فكرنا العلميِّ فمِن المعروفِ أنَّ انتشارَ اللُّغةِ - أيَّ لغةٍ كانَتْ- رهنٌ بمدى إسهامِها في الواقعِ الحضاريِّ ولئِن ثَبُتَ في ماضينا المجيدِ أنَّ لغتَنا كانَتْ لغة حضارةٍ مرَّتْ بتجربةٍ ضخمةٍ أبرزَتْ طواعيَّتَها للاكتشافِ والتَّوليدِ فعلينا أنْ نُثبتَ نحنُ اليومَ أنَّها ما تبرحُ تمرُّ بالتَّجاربِ الضخام بل بتجاربٍ أضخمَ ممَّا سلف وأنَّها تواكبُ نماءَها الحضاريَّ وما تنفكُّ قادرةً على اختراع التَّعابيرِ الحيَّةِ لِجميع الفنون)) (٤٦).

وعلينا الآنَ أنْ نؤكِّدَ حقيقة لا تقبلَ الشَّكَّ وهي أنَّ اللُّغة العربيَّة لن تأخُذَ مكانتَها الطبيعيَّة بينَ سائرِ اللُّغاتِ الحيَّةِ إلا إذا كانَ التَّعليمُ الجامعيُّ باللُّغةِ العربيَّةِ وليسَ مِن

شكٌّ أنَّ هذا العملَ فيهِ صعوباتٌ كثيرةٌ ستواجهُ العلماءَ والمعربينَ والمترجمينَ ولكنَّهم سيتغلَّبونَ عليها حتماً حينما يكونُ العزمُ والتَّصميمُ فإنَّ لغتَنا العربيَّة ليسَتْ أقلَّ شأناً مِن اللُّغةِ التُّركيَّةِ والفارسيَّةِ والعبريَّةِ التي أصبحَ التَّعليمُ فيها يشملُ جميعَ مراحلِ الدِّراسةِ مِن رياض الأطفال حتّى الجامعةِ؛بسببِ اهتمامِ أهلها بها.

ولا يُنسى في هذا المجال فضلُ المجامع اللُّغويَّةِ التي يسَّرَتْ السَّبيلَ حينما قرَّرَتْ استعمالَ المفرداتِ العالميَّةِ المأخوذةِ مِن اللُّغةِ الأجنبيَّةِ كاليونانيَّةِ أو اللاتينيَّةِ التي تستعملُها جميعُ اللُّغاتِ مِن أجلِ تنميةِ اللُّغةِ العربيَّةِ ولولا هذهِ الجهودُ المتواصلةُ التي تبذلُها مجاميعُ اللُّغةِ العربيَّةِ وإثرائِها واتِّخاذِ القراراتِ التي تسهلُ على الدَّارسينَ تيسيرَ قواعدِ هذهِ اللُّغةِ ولولا هذهِ الجهودُ المتواصلةُ التي تبذلُها مجامعُ اللُّغةِ العربيَّةِ في القاهرة والشَّام وبغدادَ ومنطقةِ الخليج العربيِّ لأصابَ لغتَنا العربيَّة الوهنُ والضعفُ؛ لأنَّ اللُّغاتَ الحية تنمو وتزدادُ في كلِّ يومٍ بمفرداتٍ جديدةٍ يخلقُها التَّقدمُ في الميادين كافة [٤٧].

ولقد عُرِّبَتْ وتُرجمَتْ عشراتُ الآلافِ مِن المفرداتِ التي تعني مصطلحاتٍ علميَّة جديدةً وأُلِّفَتْ معاجمٌ كبيرةٌ باللُّغةِ العربيَّةِ في مصطلحاتٍ جديدةٍ في الجانبِ العسكريِّ والعلومِ التَّطبيقيَّةِ مثل الفيزياءِ والكيمياءِ والبرمجيَّاتِ والحاسوبِ والطِّبِّ والصَّيدلةِ والجيولوجي وفيما يخصُّ الجانبَ الإنسانيَّ كالفلسفةِ والأخلاق والمنطق والتأريخ [٤٨].

الهوامشُ:

١- ينظر: عن اللغة والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية: ٩.

٢- ينظر: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية: ٣٢.

٣- ينظر: لسان العرب: ٥٨٧/١.

٤- المصدر نفسه: مادة (عرب): ٥٨٧/١.

٥- العرب من اليمين إلى اليسار الحرب على اللسان العربي: ١٦.

٦- ينظر: دراسات في العربية وتاريخها: ١٤.

٧- ينظر: العربية تاريخ وتطور: ٢٠٢.

٨- تأريخ اللغات السامية: ١٩٦.

٩- ينظر: ديوان الأعشى: ١٦٨.

١٠- المصدر نفسه: ٦١.

١١- ينظر: العربية تأريخ وتطور: ٢٠٤.

١٢- ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٦.

١٣- ديوان أمية بن أبي الصلت: ٢٩٨.

١٤- ينظر: ديوان الأعشى: ١٨٣.

١٥- ينظر: العربية بين أمسها وحاضرها: ٦١.

١٦- المصدر نفسه: ٦٢.

١٧- تأريخ العرب: ٨.

١٨- تأريخ اللغات السامية: ١٩١.

١٩- المصدر نفسه: ١٩١.

٢٠- ينظر: حضارة اللغة: ١١.

٢١- تأريخ اللغات السامية: ١٩١.

٢٢- اللغة العربية مبادئ وتطبيق: ٥.

٢٣- مفردات ألفاظ القرآن: ٢٠٩.

٢٤- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢٨٤/١.

٢٥- ينظر: لسان العرب: مادة (جهل): ١٣٠/١١.

٢٦- ينظر: شرح القصائد السبع الطوال: ٤٢٦.

٢٧- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٠٩، و روح المعاني: ٢٨٦/١.

٢٨- في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى: ٢١.

٢٩- حضارة العرب: ٦.

٣٠- ينظر: العربية بين أمسها وحاضرها: ٦٢، والعربية تواجه العصر: ٢١٠، ومقالات في الشعر الجاهلي: ١٧.

٣١- ينظر: ملامح من تاريخ اللغة العربية: ٦٦.

٣٢- المصدر نفسه: ١٩٨.

٣٣- ينظر: دراسات في العربية وتأريخها: ١٤.

٣٤- دراسات في فقه اللغة: ٣٢٠.

٣٥- المصدر نفسه: ٣٤٧.

٣٦- ينظر: العربية تواجه العصر: ١١٦.

٣٧- ينظر: حضارة اللغة: ٢٤.

٣٨- ينظر: من قضايا اللغة والنحو: ١٣٣، وينظر: مستقبل اللغة العربية المشتركة: ٦.

٣٩- تأويل مشكل القرآن: ٤٠.

٤٠- ينظر: العربية تواجه العصر: ٣٢٠.

٤١- المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية: ٣٢.

٤٢- ينظر: دراسات في العربية وتأريخها: ١٢.

٤٣- ينظر: اللغة العربية مبادئ وتطبيق: ٦.

٤٤- حضارة العرب: ٤٤٠.

٤٥- المصدر نفسه: ٤٤١.

٤٦- ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣٥١.

٤٧- ينظر: القرارات النحوية والصرفية لمجمع اللغة العربية في القاهرة: ٦٦٦.

٤٨- ينظر: العربية تواجه العصر: ١١٥- ١١٦.

ثبتُ المصادرُ:

١- تأريخ العرب، د.عبد العزيز الدوري، و د.مصطفى جواد، مطبعة دار دجلة، بغداد، ط٧، ١٣٧٧هـ -١٩٥٨م.

٢- تأريخ اللغات السامية، أ.ولفنسون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

٣- تأويل مشكل القرآن، الإمام أبو محمد عبد الله المسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، تحـ: سعد بن نجدت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

٤- دراسات في اللغة العربية وتأريخها، محمد الخضري، ط٢، ١٣٨٠هـ -١٩٦٠م.

٥- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم، بيروت، لبنان، ط١٨، ٢٠٠٧م.

٦- ديوان الأعشى، تحـ: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٨٧م.

٧- ديوان أمية بن أبي الصلت، طبع وزارة الثقافة، بغداد، د.ط، ١٩٧٥م.

٨- روح المعاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٩- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحـ: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٢، د.ت.

١٠- العرب من اليمين إلى اليسار، خالد محمد حمد، مراجعة: محمد رضوان محيي الدين، يعرب للدراسات والنشر، د.ط، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١١-العربية بين أمسها وحاضرها، د.إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، د.ط، ١٩٧٨م.

١٢- العربية، تأريخ وتطور، د.إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

١٣ العربية تواجه العصر، د.إبراهيم السامرائي، دار الجاحظ، بغداد، د.ط، ١٩٨٢م.

١٤- عن اللغة والأدب والنقد رؤية تأريخية ورؤية فنية، محمد أحمد العزب، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

١٥- في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أ.د. محمد مؤنس عوض، دار العلم للملايين، د.ط، يناير ٢٠١١م.

١٦- القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية في القاهرة، خالد بن سعود بن فارس العصيمي، دار ابن حزم، ط٢، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

١٧- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، تحـ: محمد نظام الدين الفتيح، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٨- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

١٩- اللغة العربية مبادئ وتطبيق، غالب المطلبي، دار كنوز المعرفة، عمان، د.ط، ٢٠١٠م.

٢٠-المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، د.إسماعيل أحمد عمايرة، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢١- مستقبل اللغة العربية المشتركة، د.إبراهيم السامرائي، د.ط، ١٩٥٩م.

٢٢- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحـ: صفوان عدنان، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٢٣- مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

٢٤- ملامح من تأريخ اللغة العربية، د.أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد، بغداد، د.ط، ١٩٨١م.

٢٥- من قضايا اللغة والنحو، علي النجدي ناصيف، مكتبة نهضة مصر، د.ط، د.ت.

البحوثُ المنشورةُ:

١- حضارة اللغة، د.أحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، ١٩٧١م.

Abstract

No room for doubt that the study of Arabic language is the basis and rational for the study of Arab civilization and in-depth understanding of the Arab world .

Known about the Arabic language it is the richest of Semitic languages and Erqaha, as it is characterized by frequent synonyms as well as flexibility and ability to shape derivatives of the wording that with the ease of expression the exact within the framework of His Highness the eloquence and the charm of the statement, according to the Arabic language is the language of the Koran, who described his tongue as the tongue of clear Arabic , and thanks to the nature of the Arabic language and its richness and its ability to sculpture, a linguistic point of the crossing and Mjazadtha diverse in its own right has been able to be a valid tool to express the greatest civilization the world has ever known in the Middle Ages. And that it did not stand helpless in front of Sciences Greece, Persians, Jews and other owners of civilizations, but expressed their sciences, including the meanings of the terms was not for the Arabs to know by the expression of scientifically accurate, and so withered languages Syriac, Coptic and other in front of the Arabic language, while shrinking the Persian language, and did not is more than one language speech and debate in Persia after the use writers Persians and scholars of Arab writing, writing and recording Matvtguet by Qraúham under Islam, the Koran is the biggest proof that the Arabic language of civilizations, but rather is the greatest language affair and lift status, the book contained Aziz the greatest amount of human values, and the elevation of the highest style Adzalepeshron come in kind and will not produce the like thereof, even if they were to one another, a helper.

The Arabic language, like other human languages are subject to change, variability, and extinction, and the yard; however, that the Holy Quran by virtue of that for the San Islam

spokesman and miracle the rest is saved from being lost, because it came on the face of challenge, which the Arabs blatant challenge Vzloa and Acetkanwa, Vmutir every Muslim to his words -preserved miracle and adoration read out, even if it came also came other books devoid of miracles as inevitably people have to commit themselves pledge to identify them, but were taking Mainfhm in their living and Maadehm after is to transmit it to their own languages Vtdtrb Arab to stand alone in the realm of life is still looking forward to renewal so that in its principle and end of two languages or different languages or walk to the death and runs to the yard to become part of history in modern Arabic language faces the problem of the times, like the other languages .

The nature of this problem is very clear and that this language should be the language of the new civilization, as was the language of the previous civilization, which has preoccupied the world from the far east to far west, what way to do that?

Way is to work hard to provide the new term and Matraúq to provide it ?

We have the experience accumulated from Maieinna to solve these problems and experiences and solutions:

1. Translation: It is to translate the scientific term Ventejer speech Arab appropriate and we agree upon in Arab countries, all to be easy and easy to make university education in Arabic and is no doubt that scientists and Almarbin and translators will face many troubles and hardships, but they will overcome it inevitably when the resolve and determination, because the Arab is not less serious than others.

2. Localization: by which I mean to take the term foreigner refers Venarabh to maintain something of its votes to change or something of which to the Arab voices as we do in buildings such as the terms of the structure Venarabha Arabic . 3. We emphasize that the language of eloquence for the safety of the Arabic language and not to resort to the use of slang and this requires us to follow the best methods to teach Arabic and

granulated to emerging and that we are serious to Tisiralnho and away from the industry that have burdened the grammatical Arabic .

4. Choose the good of those who are teaching the language, and not to allow both to speak Igede be studied because of the empty hand Aaattiyh. The link to civilization of a nation and its presence is linked to a strong correlation in their own language so that we can say that in the absence of language for its civilization .

5. To teach our children to speak Arabic eloquence from a young age even become Queen Wejtklmon them as they write and that this was difficult, we have to apply it in our schools at the very least.

Finally, we say that language development depends strongly its people and Mndzhm cultural, educational progress and that accomplished and advanced civilization had their own language A substantial share of that progress and prosperity and that they were late overcome the language to her burden and Tqoukat itself but perhaps Aorthha position degrading and vulgar among the world's languages.